نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

« فائدة بعثة عيسى والفرق بين صورته في القرآن وصورته في الاناجيل »

فان قيل اذا كانت هذه العقائد التي امتازت بها المسيحية عن الاسلام واليهودية باطلة فما فائدة بعثة عيسى إذًا ولم فتن الله الناس به حتى اتخذوه إلها ؟ قلت لاشك أن عيسى كان نبيا كبيرا ورسولا عظيما جعله الله مثالا حسنا للناس ليهتدوا بهديه وليقتدوا به في أخلاقه وأعماله وأقواله وسيرته الطاهرة وقد اشتهرت تعاليمه الداعية الى السلم والرحمة والرأفة والزهد في الدنيا كما قال القرآن الشريف (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) وذاع اصلاحه في الارض منذ وجوده للآن رغما عن كل ماطرأ على دينه من التحريف والتبديل مع كثرته . ومن فوائد بعثته أيضا أن الله تعالى جعله دليلا على قدرته على البعث والقيامة الاخروية فان الناس كانت قد ضعفت فيهم أو تلاشت من بينهم تقريبا هذه العقيدة الكبرى لدرجة جعلت الصدوقيين من اليهود (وهم الامة التي اشتهرت بكثرة الوحي فيها والانبياء) ينكرون البعث يوم القيامة (مت ٢٢:٢٣ وأع ٢٣ : ٨) وكان يوجد من النصارى أيضا من تبعهم في ذلك كبعض أهل كورنثوس كما يفهم من رسالة بولس الاولى اليهم (١٥ : ١٢) . وتجد أسفار العهد القديم خالية من التصريح بهذه العقيدة اللهم الا ببعض اشارات طفيفة كما في سفر التثنية (٣٢ : ١٩ ــ ٤٣) ولعل السبب في ذلك وجودهم بين المصريين مدة ٤٣٠ سنة (خر ١٢ : ٤٠) واقتباسهم منهم هذه العقيدة التي كانت عالقة كثيرا بأذهان المصريين (١) فانتقلت منهم الى بني اسرائيل وأصبحت عندهم من الامور

(١) الظاهر أن المصريين أتتهم هذه العقيدة من طريق الوحي إليهم والا لاسبقوا اليهود بها، وكانوا يعتقدون أن قلب الانسان سيوزن يوم القيامة لمعرفة ان كان يستحق الرحمة أو العذاب ولعل مرادهم من ذلك هو كمراد القرآن عند المحققين مما ذكره معابرا لذلك (مثل ٢١ : ٤٧) أي

التي لا يترددون في قبولها فلذا لم يحتاجوا للتذكير بها كثيرا فاكتفت كتبهم بالاشارة اليها أحيانا، ولا تنس أن بني اسرائيل كانوا من أشد الامم ميلا للتقليد وخصوصا للامم الغالبة لهم فلذا انتقلت اليهم هذه العقيدة من المصريين وانتشرت بينهم، أو كان السبب في قلة ذكر كتبهم لها أن الناس كانوا في تلك الازمنة قصيري الادراك بادياء الشعور وخصوصا اليهود ذوي الرقاب الصلبة (خر ٣٢ : ٩) فلذا ما كانوا يتأثرون ولا تنفعل نفوسهم بالمواعيد الآجلة انفعالها بالمواعيد العاجلة التي اكثرت كتبهم من ذكرها لهم لغلظ قلوبهم وقساوتها ، فلما كثر بين الناس الشك في هذه العقيدة وارتقى ادراكهم ورق شعورهم عن ذي قبل جاء عيسى ليبين هذه العقيدة العظمى واشتهر بالتصريح بها أكثر من جميع من سبقه من أنبياء بني اسرائيل وقد بين قدرة الله تعالى على البعث والنشور بمعجزاته العظيمة كاحياء الموتى وخلقه من الطين طيرا وبوجوده هو نفسه بدون أب خلافا لما اعتاده الناس. فالله تعالى الذي أجرى على يديه كل هذه الآيات البينات (أع ٢ : ٢٢) لاشك أنه قادر على احياء الموتى يوم القيامة (١)

= المبالغة في بيان دقة الحساب وكمال العدل الالهي في ديونة الخلائق كأن أعمالهم أو قلوبهم توزن وزنا دقيقا بحيث لا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتي بها الله وعامل الانسان بحسبها

ولوجود عقيدة البعث عند المصريين نجد أن يوسف كما في القرآن الشريف لما تكلم مع الفتيين اللذين حبسا معه في مسائل الدين لم يحثهما على الايمان باليوم الآخر كما حثهما على التوحيد فان ذلك كان من أكبر عقائدهم حتى من قبل يوسف (راجع سورة يوسف ١٢ : ٣٩ و ٤٠) ونرى أن عزيز مصر لما وجد امرأته خاطئة قال لها (استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) ولولا اعتقادهم بالديونة في اليوم الآخر ما قال لها ذلك

(١) لذلك ترى أن أكثر معجزات عيسى هي مما له علاقة باحياء الميت كخلقه هو نفسه بدون أب وكاحياء الموتى على يديه وكتحويل الطين طيرا ليدل بذلك كله على قدرة الله التامة على البعث فان الذي خلقه بدون استيفاء أهم الشروط المعتادة في خلق الاحياء الراقية وأحيى على يديه الموتى بل الجماد لاشك أنه قادر على بعث الخلائق يوم القيامة مهما طرأ عليهم من الفساد والانحلال والتغير ومهما فقد من الشروط المعتادة أو اللازمة للحياة في هذه الدنيا . لذلك قال تعالى في عيسى (ولنجعله آية للناس) وجاء عن لسانه مكررا في موضع واحد (٣ : ٤٩ و ٥٠) قوله (اني قد جئتكم بآية من ربكم — الى قوله — وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون) =

فاصلاح الاخلاق وتذكير قومه بكلام الله القديم الذي كانوا هجروه وارشادهم الى حقيقة الشريعة وروحها والدعوة الى الايمان باليوم الآخر والزهد في الدنيا لشدة انغماس الناس في زمنه في الماديات هي أهم ماجاء عيسى به وهي أعظم ماعرف عنه بين جميع أتباعه واشتهر به على اختلافهم في الآراء والمعتقدات ولو أنهم جعلوا نعيم الآخرة روحانيا فقط ـ مع اعترافهم بالبعث الجثماني بل والعذاب الجسداني

= أي اذا علمتم مما جئتكم به من الآيات أن الله موجود وأنه سيبعثكم للحساب يوم القيامة كان واجباً عليكم ان كنتم تعقلون أن تتقوه كمال التقوى وتطيعوني

أما في زمن البعثة المحمدية ـ وقد ارتقى الناس في الجملة عن ذي قبل ـ فكانوا يرون أو يمكنهم أن يروا مالا يراه القدماء الا نادرا من أن آيات الكون الخاصة أمامهم كل يوم تكفي لاثبات أن الله قادر على البعث لانه تعالى يخلق فعلا في كل وقت الاحياء النباتية والحيوانية من الجماد كما هو مشاهد لجميع الناس ، ولا شك أن اعادة الخلق أهون من بدءه كما قال القرآن الشريف (٣٠ : ٢٧) لذلك اكتفى القرآن بتنبيهم الى هذه الآيات الكونية في أكثر سوره وناقشهم فيها مناقشة عقلية منطقية كما هو معلوم لمن يتدبر آياته (راجع مثلا سورة الحج ٢٢ : ٥ ـ ٧) ومازال يرشدهم اليها ويذكرهم بها ويجادلهم فيها حتى اقتنع العرب اقتناعا عقليا صحيحاً بقدرة الله على البعث وتبعتهم الامم الداخلة في الاسلام الى اليوم . فالناس وان كفتهم الحجة العقلية في زمن البعثة المحمدية وبعدها الا أن أكثر الامم أو كلهم قبل ذلك ما كانت تكفيهم هذه الحجة أو لا تؤثر فيهم تأثيرها في الناس بعد الاسلام فلذا جاء عيسى وغيره لقومهم بالمعجزات الحسية ، والغالب ان الامم القديمة ما اقتنعت بهذه العقيدة اقتناعا عقليا جازما وانما سلموها بعد ان رأوا من أنبيائهم مارأوا من المعجزات الحسية ونحوها لا بالحجج العقلية كأهل الاسلام وربما كان اقتناعهم بها بعد ذلك أقل درجة من اقتناع المسلمين ، ألا ترى الى قول ابرهيم وهو أبو النبيين (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فاذا كان هذا حال ابراهيم فما بالك بغيره من الناس؟ والحق أن استعمال الحجج العقلية لاثبات المسائل الدينية لم يعرف بين أكثر الامم قبل الاسلام ومن عرف عندهم لم يبلغ مبلغه بين المسلمين كما لايخفى على المطلعين الباحثين في أحوال البشر وعقائدهم . والفضل في ذلك كله للقرآن الذي نهض بالعقل البشري نهضة لم يسبقه بها كتاب ، ان في ذلك لآيات لاولي الالباب

أيضا (١) ـ بسبب تأثير أقوال بعض فلاسفة اليونانيين فيهم (كارسطو) حتى أولوا

(١) من غرائب عقول النصارى أنهم مع تسليمهم بقيامة الاموات والبعث الجثماني (١ كو ١٥ : ١٢ ـ ٥٧) وبالعذاب الجسداني أيضا ـ كما قلنا في المتن ـ الدائم الى أبد الآبدين (مت ٥ : ٢٩ و ٨ : ١٢ و ١٣ : ٤٢ ورؤ ١٩ : ٢٠ و ٢٠ : ١٠) يعودون فينكرون النعيم الجثماني ويسخرون من المسلمين لانهم يقولون به !! فلا أدري لماذا يقبلون تعذيب الجسد بالنيران وغيرها ولا يقبلون تنعيمه بما يليق به من أكل وشرب وجماع وغير ذلك مع الادب والكمال ، واذا كان الله قضى بحصول هذه الاشياء في الدنيا للانسان والحيوان فأي استبعاد اذاً للقول بحصولها أيضا في الآخرة على نحو أكبر وأبهى وأفضل ؟ نعم ان الجماع شهوة بهيمية ولكنه هو كالاكل والشرب الذي قالت كتبهم بحصوله في الآخرة (لو ٢٢ : ٣٠) ولذلك سميت دار النعيم عندهم أيضاً بالفردوس (لو ٢٣ : ٤٣) أي البستان بالفارسية لما فيها من الاشجار والاثمار ونحوها واذا استعمل الجماع في محله مع الاحتشام والادب فلا عيب فيه مادام الانسان في الآخرة لم يخرج باعترافهم عن كونه حيوانا جسدانيا ، وأي فرق حقيقي بين اللذة الروحية واللذة الجسدية ؟ وكلتاهما لا تصل الى الانسان ولا تكون عادة الا بطريق الجسد وان كانت الاولى خيرا وأبقى من الثانية ولكن في الآخرة ستكون الاثنتان باقيتين ، هذا ولم يقل أحد من المسلمين ان لذة الآخرة كلذة الدنيا ولا أن الآخرة خالية من النعيم الروحاني ، وكيف يقول أحد منهم ذلك والقرآن يقول (ورضوان من الله أكبر) ويقول (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) وقال (وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة) و (وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية) وغير ذلك كثير (راجع كتابنا « الاسلام » ص ٥٠ و ٥١ منه)

واذا اقتصر القرآن على ذكر اللذات الروحية أيكون لكلامه من التأثير على عامة البشر ما كان له بذكر اللذتين ؟ ومن من العامة يدرك اللذة الروحية أو يقدرها قدرها ؟ أو تتفضل نفسه لها ؟

هذا وسيرضى كل في الآخرة بما قسم له من النعيم كما يرضى الصغير بثوبه الصغير والكبير بثوبه الكبير بحيث اذا أعطى للكبير ثوب الصغير لغضب وعد ذلك استهزاء به وكذلك العكس كما قال المسيح عليه السلام في انجيل برنابا (١١٦ : ١ ـ ١٦) ولذلك =

أقوال المسيح نفسه الدالة على عكس ما ذهبوا اليه تقليدا لهم كما في متى (٢٦ : ٢٩) ولوقا (٢٢ : ٣٠)

ولكن من المجمع عليه أن أكثر تعاليم عيسى وشغله الشاغل كان في الدعوة الى مكارم الاخلاق والسلم والتمسك بروح الدين(١) وجوهره والايمان باليوم الآخر والعمل على نشر ذلك كله بين العامة والخاصة من قومه ولكنه قل أن تعرض للالهيات لعدم حاجة اليهود اليها بل أحالهم فيها الى ناموسهم اذ فيه الكفاية منها ، وبين أن التوحيد هو أول كل الوصايا (راجع مثلا مرقس ١٢ : ٢٨ ـ ٣٤) كما كان معلوما لديهم من قبل وقد استفاد العالم من تعاليمه كثيرا منذ زمنه الى الآن

وأما افتتان الناس به ودعواهم له الالوهية (وان كان هو تبرأ حتى من اطلاق لفظ «الصالح» عليه كما سبق (متى ١٩ : ١٧) فذلك لا يطعن في انتفاعهم العظيم به عليه السلام وفي أنه كان إماما ورحمة لهم وآية للعالمين كما أنه لا يطعن في فائدة نزول الغيث كونه قد يصيب بعض البيوت مثلا فيهدمها على أهلها ولا يطعن في نفع النار وغيرها أنها كثيرا ما تؤذي الانسان وتهلكه وهي أقوى ما يستعمله الانسان للتدمير في الحروب وغيرها

فهذه سنة الله في خلقه إذ يندر أن يوجد شيء في العالم خال من الضرر في جانب نفعه الكبير فكذلك بعثة عيسى وان أفادت الناس كثيرا الا أنها لم تخل من الاضرار بضعاف العقول الذين ألهوه وعبدوه من دون الله تعالى عما يشركون . فالاعتراض على بعثته بسبب ذلك كالاعتراض على جميع ما خلق الله مما لا يخلو من ضرر ولذلك أيد الله تعالى ـ كما قال القرآن ـ أتباع عيسى مع ضعف إيمانهم وفساد بعض عقائدهم

= قال تعالى في القرآن الشريف (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) ولما كان الرجل في الدنيا أقوى وأفضل وأعقل من المرأة وأكبر شهوة منها فلا عجب ان كان ثوابه في الآخرة أكبر لان أعماله أعظم والذي فضله في الدنيا هو الذي سيفضله في الآخرة بسبب عمله ولا يغير ذلك حقد المرأة عليه كما بينا هنا

(١) لذلك وضع عن اليهود شيئا من اصر التوراة وأغلال الناموس كما فعل في يوم السبت حيث خفف شدة حكمه (راجع يو ٥ : ١٠ ـ ١٢ ومتى ٢٠ : ١٠ ولوقا ١٥ : ٢٢ ـ ٣٦) فلذا قال الله تعالى في القرآن الشريف عن لسانه (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم)

حتى نشروا دينه على علاته في الارض وأصبحوا فيها ظاهرين . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أي قل يا محمد كما قال عيسى لأصحابه ماذكره والحكمة في قول القرآن ذلك بدل أن يقول (كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله) أنهم لم يكونوا في دينهم على ما يرام كما يفهم من قوله (ومكروا ومكر الله) لأن يهوذا باعتراف النصارى كان منهم وكذلك بطرس الذي سماه المسيح « شيطانا » وغيرهما كان ضعيف الايمان أو عديمه كما سبق بيانه (راجع صفحة ٥٢ و ٨٨ و ٩٢) . وقال القرآن أيضا (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) الآية وقال (فاختلف الاحزاب من بينهم) الآية . وإذا كان الله أيدهم مع ضعفهم هذا وفساد بعض عقائدهم بسبب أن في دينهم أشياء أخرى كثيرة صالحة للبشر وهي أكثر مما ألحق به من المفاسد فمن باب أولى يؤيد الله المؤمنين الصادقين الخالي دينهم وعقائدهم من التحريف والتبديل ، لذلك ضرب الله الحواريين مثلا للمؤمنين لبيان كرمه وحلمه وتفضله على عباده بالخير الكبير ولو لم يستحقوه كله ليعلموا أنهم ان نصروا الله ولو قليلا نصرهم هو كثيرا كما فعل بأصحاب عيسى ، ولم يضرب المثل بغيرهم من الامم السابقة المؤمنة لأنهم لم يبق لهم ملك في الارض مشاهد كاليهود ، أو أنهم انقرضوا كقومي قوم صالح وهود

هذا وقد بين القرآن الشريف تاريخ عيسى كما بيناه هنا فقال الله تعالى فيه (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل (١) ولو نشاء لجعلنا منكم

---

(١) فانه مرسل اليهم أولا وبالذات فان رفضوا ولم يؤمنوا به دعى حينئذ غيرهم من الامم والا فلا (مت ٢٢ : ١ ـ ١٤) و (أع ١٣ : ٤٦ و ١٨ : ٦) و (روميه ١ : ١٦) وأما محمد (ص) فرسل للناس كافة سواء قبله العرب أو رفضوه ولكن يجب أن يبدأ بعوتهم ليستعين بهم على دعوة غيرهم . هذا اذا تساهلنا معهم في فهم عبارات كتبهم المتناقضة حتى في هذه المسألة الهامة وسنتكلم معهم قليلا في ذلك قريبا بغير هذا التساهل

ملائكة في الارض يخلفون * وانه لعلم(١) للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض(٢) الذي تختلفون فيه (اي كاختلاف اليهود في القيامة لعدم صراحتها في كتبهم) فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الاحزاب من بينهم (لاحظ العطف هنا بالفاء) فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم * هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) والآيات

(١) أي سبب للعلم بها فانه هو ومعجزاته من أعظم الدلائل على امكان البعث ، وهذه العبارة في الآية مجاز مرسل علاقته السببية فانه أطلق المسبب (وهو العلم) وأراد السبب (وهو عيسى ومعجزاته) كقولك « أمطرت السماء نباتا » أي مطرا يتسبب عنه النبات وقرئ أيضا { وانه لعلم للساعة } بفتحتين أي انه كالدليل الذي يهتدي به الى معرفة الطريق ونحوه فعيسى عليه السلام يهتدي الى طريقة اقامة الدليل على امكان الساعة وكيفية حصولها كما بينا في المتن

(٢) انما لم يقل « ولأبين لكم كل ما تختلفون فيه » لانه لم يفعل ذلك بل ترك بيان كثير من الاشياء كالفساد الذي دخل في أغلب كتبهم للبارقليط (محمد) الذي يأتي بعده لعدم استعداد الناس في زمنه لقبول كل شيء منه كما قال هو نفسه (يو ١٦ : ١٢ و١٣) وخصوصا اذا تعرض للطعن في كتبهم وهي رأس مالهم الوحيد وتراث أجدادهم ، ولو فعل ذلك لشك فيه الكثيرون منهم وكذبوه ولما اتبعه الا الاقلون أو النادرون فتضيع الفائدة من بعثته التي بيناها في المتن وهي التي بعث لأجلها، وأما قول الله تعالى عن لسانه { ومصدقا لما بين يدي من التوراة } فالمراد بمثل هذا التعبير أنه بمجيئه عليه السلام تحققت نبوات التوراة عنه وبه صحت وصدقت، وكلمة «التوراة» تطلق على كل كتب العهد القديم كما بيناه في كتاب « دين الله » { ص ٦٥ } فالمعنى أن عيسى كان وفق ما أنبأ به النبيون عنه من قبل ولولاه لما صدقت تلك النبوات فانها لا تنطبق الا عليه، وليس المراد أن عيسى يقر كل ما في التوراة كما يتوهم النصارى الآن من مثل هذه الآية والا لما قال بعدها مباشرة « ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم » فكيف يقرها وهو قد جاء ناسخا لبعض ما فيها، فتدبر ذلك ولا تكن كهؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويفسرون ما لا يفهمون !!

هذا اذا سلمنا ما في هذه الاناجيل من ان المسيح عليه السلام لم يطعن في كتب

في بيان فضائل المسيح ومزاياه وأعماله والثناء عليه عديدة شهيرة(١) فانظر الى آداب

= اليهود الموجودة في زمنه ولم يبين لهم مافيها من الفساد ولكن كيف يثق المسلم بباقي هذه الاناجيل بعد الذي كتبناه فيها ؟ فيجوز أن المسيح بين لهم فساد كتبهم كلها أو بعضه المهم ثم انهم أهملوا أغلب أقواله هذه تدريجيا حتى نسوها لعدم موافقتها لاهوائهم ولما شبوا وربوا وشابوا عليه وورثوه عن آبائهم كما أهملوا أقواله في التوحيد الحقيقي وخالفوا نصائحه ووصاياه في مسائل كثيرة كما بيناه وقالوا في شأنه شيئا فشيئا حتى جعلوه إلهاً وهو ــ لاشك ــ بريء من هذه الدعوى ولايخفى أن تلاميذه ــ وهم ضعاف من وجوه كثيرة ــ لوكانوا أكثروا من الطعن في كتب اليهود وترديد أقوال المسيح فيها لنفروا اليهود منهم ومن دينهم ومسيحهم ولزاد اليهود في احتقارهم وايذائهم فلذا تحاشوا ذلك وخصوصاً لانه لايمكنهم اقناعهم بصحة مسيحية عيسى الا بهذه الكتب فاستمروا على قبولها والتعويل عليها مجاملة وخوفاً من باقي أمتهم اليهود واستمالة لهم لادخالهم في دينهم بها وربما أنهم حرفوا بعض أقوال المسيح التي نقلوها في هذه المسألة وجعلوها قاصرة على ذم المسيح اليهود باتباع تقاليدهم الموضوعة لا بتحريف كتبهم المقدسة كما هو الظاهر مما في انجيل مرقس مثلا (٧ : ٦ ــ ١٣) (راجع أيضا كتاب دين الله صفحة ٨١ ــ ٨٤)

على ان بعض فرق النصارى الاقدمين في القرن الاول والثاني قد أنكروا العهد القديم كله أو أكثره كالابيونيين والماركونيين وغيرهم ويبعد كل البعد أن تنكر هذه الفرق هذه الكتب من غير أن يستندوا على شيء رووه عن المسيح نفسه في أمرها وقد كانوا قريبي العهد به عليه السلام فتكون روايتهم أصح من رواية هذه الاناجيل التي لم يعرف لها سند الا في أواخر القرن الثاني وما خلت من التحريف بعد ذلك كما بينا . وجاء في انجيل برنابا أن المسيح نص على تحريف اليهود لكتبهم راجع مثلا الاصحاح ٤٤ : ٣ منه وهو من الاناجيل القديمة وإن يكابرون فيه ويكذبون. وما يدرينا أنه كان يوجد في الاناجيل الاخرى التي رفضوها وأضاعوها مثل مافي انجيل برنابا أيضاً، ولا تنس ان أناجيلهم هذه الحالية لاتشمل جميع أعمال المسيح (وأقواله طبعا) باعتراف مؤلفيها (يو ٢١ : ٢٥)

(١) من أكبر آيات اخلاص النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في دعواه أن القرآن الذي عظم جميع الانبياء تعظيما كبيرا وأثنى على كل من ذكر باسمه منهم فرداً فرداً ، وبرأهم من كل مارماهم به أهل دينهم من الكبائر والفضائح قبل أن اختص =

القرآن العالية في المسيح فهو يصوره دائما بغير الصورة التي تفهم من الاناجيل وفيها كثير من المسائل تؤدي الى الطعن العظيم فيه كما أدت كثيرين الى ذلك في

= محمداً بمدح أو بفضل أو مزية دون غيره من اخوانه الانبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام، بل كثيرا ما يذكر محمداً مع شيء من اللوم له أو العتاب أو الارشاد والتأديب ونحو ذلك مما يعرفه المطلعون على القرآن الكريم . ولو كان محمد من الكاذبين لما سجل على نفسه شيئا من هفواته في قرآنه (راجع مثلا ١٧ : ٧٣ — ٧٥ و٣٣ : ٣٧ وغير ذلك) ولخص نفسه بالمدح والتعظيم والتبجيل والاكرام في أغلب القرآن ، ولرفع منزلته فوق كل منزلة ، ولنص على أنه أفضل النبيين وأقرب المقربين من رب العالمين بل لادعى البراءة من كل عيب ونقص وخطأ ، ولنسب لنفسه العصمة من كل زلل أو سهو أو نسيان ، ولما أمر في القرآن بطلب الرحمة والغفران من الله ولما ألزم نفسه الفرائض الكثيرة والنوافل العديدة الشاقة في صلواته وصيامه وقيامه بالليل لعبادة الرحمن (راجع كتاب دين الله ص ٧٠ و ٧) ولا دعى الكمال المطلق في كل شيء، وقال ان العالم خلق لأجله ومن نوره وأنه أول موجود كما يقول عامة المسلمين الآن فيه تقليدا للنصارى في عيسى، بل لقال عن نفسه أكثر مما قال يوحنا في انجيله عن المسيح، ولما نهى عليه السلام الناس — وبالغ في النهي — عن إطرائه كما أطرت النصارى عيسى أو لمدد على الأقل في قرآنه جميع أعماله وأتعابه ومناقبه ومفاخره أو لأعجب بنفسه ومدحها كثيرا كما فعل بولس في رسائله على ما سبق بيانه (في صفحة ٨٠—٨٢) ولكن أين ذلك الكبر الباطل والغرور والاعجاب بالذات من تلك الروح العالية، والنفس الطاهرة الكبيرة، روح الصدق والاخلاص والتواضع والانكسار لله تعالى ؟ وفوق ما تقدم كله لم يذكر في القرآن حادثة من حوادث حياته الا عرضا ولغرض غير مجرد تدوين أخباره وسيرته فان الرغبة في ذلك لم تكن منه مطلقا والا لو أرادها لكانت (راجع أيضا كتاب دين الله ص ٦٨ — ٧٩) زد على هذا أنه لم يضع للمسلمين موسما أو عيدا أو نحو ذلك لتذكر شيء مما من حوادث حياته الشخصية كيوم ولادته أو هجرته او اسرائه أو غير ذلك مما ابتدعه الناس بعده ولو شاء لجعل كثيرا من أيام الارض تعبده أو على الاقل تذكره كل سنة بأعياد عديدة ومواسم متكررة . فأين هذا ممن كان يطلب بنفسه من الناس أن يمدحوه ويظهر رغبته في ذلك كما فعل بولس (٢ كو ١٢ : ١١) بل قد نهى (ص) فوق هذا كله — مرارا عن تعظيم قبره =

أو رواية فنحن وان كنا نبرأ الى الله من مطاعنهم هذه نشير هنا (١) الى بعضها ولا نتعرض للبحث فيها طويلا بمثل ما تعرضوا به من المبالغة في الطعن اجلالا لمقامه السامي عندنا بسبب شهادة القرآن له ليس الا. فما عابوه به :—

أو اتخاذه وثناً أو عيداً حتى قال العلماء ان أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة أو موضوعة لا يصح الاعتماد على شيء منها ولهذا لم يروها أهل الصحاح والسنن (راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية صفحة ٨٢ — ٨٦) فأي تواضع أكبر من ذلك؟ وأي انكار للذات أعظم منه؟ لذلك كله ترك القرآن الحكم على هذه النفس العالية العجيبة (نفس محمد) وتقديرها قدرها للزمان، ولعقلاء الرجال المفكرين، الذين نبذوا التعصب والتقليد وراء ظهورهم وتركوه خلفهم نسيا منسيا، فظهر لهم ولله الحمد بعد أن نظروا في أعمال النبي واصلاحه في الارض ودينه وشريعته وقارنوا ذلك بغيره من الاديان انه أكبر مصلح قام في الارض وأعظم من يسميهم المليون أنبياء وأخلص المخلصين، وأصدق الصادقين. وهذا الحكم عليه ليس صادرا من المسلمين، بل من كبار المفكرين، والعلماء في العالم المتمدن من ملحدين ومؤمنين، أحرار ومتعصبين (أنظر مثلا كتاب «نشوء القرآن التاريخي» للقس إدوارد سل ص ١٨٤) كما يعرف ذلك المطلعون على كتبهم،

وأكمل منك لم تر قط عيني ‏ ‏ وأعظم منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ‏ ‏ كأنك قد خلقت كما تشاء

(١) تنبيه: نظري الى المسيح في العبارات الآتية هو ليس من الوجهة الاعتقادية بل من الوجهة النقلية فقط بحسب روايات النصارى عنه فهو نظر تاريخي محض بقطع النظر عن اعتقاد المسلمين فيه — وفي جميع الانبياء — العصمة والكمال وبقطع النظر عن اعتقاد النصارى فيه الالوهية فليتنبه لذلك القارئ. فان جوّزتُ عليه شيئا من النقص البشري فليس ذلك لاعتقادي فيه ذلك — حاشا وكلا — بل هو لاجل مناقشة الخصوم فيما رووه عنه بأنفسهم. وعقيدتي في المسيح هي عقيدة القرآن أي أنه من أعظم الانبياء ومن أكرم الرسل مصلحي الانام وهداة البشر وهي العقيدة التي يلزمنا القرآن الشريف بها ولولاه لما عرفنا قدره بسبب ما رويه نفس أتباعه عنه من النقائص كما سنبينه، فأنا في هذا لم أقله عن لساني وانما هو عن لسان ملاحدتهم، وناقل الكفر ليس بكافر، وأنا معذور في ذلك لان النصارى هم البادئون بالاعتداء علينا وعلى ديننا وقد طغوا وبغوا فوجب علينا أن نوقفهم عند حدهم بسيف الحجة والبرهان وأن نرد كيدهم في نحرهم لعلهم يرجعون

(١) مسألة تردده وهو شاب عزب جميل على بيت مريم ومرثا أختها وهما عاهرتان (قارن لوقا ٧: ٣٦ـ٣٩ بيوحنا ١١: ١ـ٣ و١٢: ١ـ٨) وحبه لهما (يو ١١: ٥) والاكل في بيتهما والمبيت عندهما وذلك مريم قدميه ومسحهما بشعرها ودهن رأسه بالطيب (لو ١٠: ٣٨ ـ ٤٢ ومت ٢٦: ٦ـ١٣ و٢١: ١٧) وكثرة اختلاط غيرهما من النساء به وبتلاميذه ومصاحبتهن لهم في كل مكان وخدمتهن له من أموالهن (لو ٨: ١ ـ ٣) الى غير ذلك مما يحرم علينا الاسلام الخوض فيه وسوء الظن بالمسيح بسببه، فان لم يفتتن هو أو تلاميذه بهن فكيف لا تفتتن مثل هؤلاء النساء بهم واكثرهن عزبات ! ؟ ومن أراد الاطلاع على بعض مايقوله علماء الافرنج في مثل هذه المسألة فليقرأ الفصل السابع من كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » تأليف فيلب سدني (Philip Sidney)

(٢) وجود المسيح في عرس يشرب الناس فيه الخمر بحضرته ويسكرون (يو ٢: ١٠) وهو لا ينكر عليهم ذلك بل ساعدهم على المنكر وحول لهم الماء خمرا فكأنه زاد الطين بلة (يو ٢: ١ ـ ١١) حتى رماه المعاصرون له من اليهود بأنه شريب خمر محب للخطاة والعشارين (لو ٧: ٣٣ و٣٤) ومن كلامه في لوقا (٥: ٣٧ ـ ٣٩) ومتى (٩: ١٧) يفهم أنه كان له دراية كبيرة بالخمر وأحوالها

(٣) اختصاصه أحد تلاميذه (يوحنا) بحبه، واتكاء هذا في حضنه والتدلل عليه وكان يوحنا اذ ذاك فتى صغيرا، وعدم تجاسر التلاميذ الآخرين على سؤاله الا بواسطة هذا التلميذ المحبوب وحده (يو ١٣: ٢٣ـ٢٥) وتجرد عيسى عن ثيابه أمامهم بعد العشاء بدون مناسبة مما يوهم أنه سكر بكأس العشاء (يو ١٣: ٤ وه ومت ٢٦: ٢٩)

(٤) قولهم انه كذب مرة على اخوته وغشهم (٧: ٨ و١٠) راجع حاشية صفحة ١٢ و١٣ من هذه الرسالة (في النسخة المطبوعة على حدتها)

(٥) أمره تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه فضرب أحدهم بالسيف عبد رئيس الكهنة ليقتله فأفلتت الضربة وأصابت أذنه فقطعتها (لو ٢٢: ٣٦ ـ ٣٨ و٥٠) مع أنه كان في أول الامر يحض الناس على محبة الاعداء (مت ٥: ٤٤) وهو أمر مغاير للطباع البشرية حتى لم يقدر عليه هو نفسه فخالف بذلك وصيته وكان

أول من نقضها بعمله هذا (١) راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٢٢ و ١٢٣

(٦) عدم احترامه لامه مريم واهانتها مرارا أمام الناس (يو ٢: ٤ و ١٩: ٢٦ ومت ١٢: ٤٦ ــ ٥٠) ومخالفته بذلك قول الله (تث ٥: ١٦) «أكرم أباك وأمك» ثم دعواه أنه ماجاء لينقض الناموس (مت ٥: ١٧) مع أنه نقضه في أعظم أركانه وأكبر دعائمه (وهي الوصايا العشر) (٢)

---

(١) لذلك كله ولغيره قد استباح بعض الافرنج أو جميعهم الكذب في السياسة ونحوها واخلاف الوعود فيها وشرب الخمور والسكر، وتبرج النساء وابداء زينتهن الفاتنة لجميع الناس، والخلوة بهن، والرقص معهن، ووطء غير المتزوجات من النساء ولم يعدوه من الزنا المحرم، والحروب الكثيرة العنيفة لاقل الاسباب والتغلب على الضعفاء والحقد على كل من خالفهم الخ الخ فيجوز أن أسلافهم وكتبة الاناجيل كانوا من الرومانيين وغيرهم الاباحيين والاشتراكيين الذين كان كل شيء عندهم مشتركا بينهم (أنظر أع ٢: ٤٤ و ٤٥) فما كانوا ينظرون الى هذه الاشياء نظرنا اليها نحن الآن فلذا نسبوا للمسيح ــ بلا حياء ــ مابيناه هنا في المتن ليظهروا أن كل شيء قد أبيح لهم وأصبحوا غير مقيدين بشرع أو ناموس وما أسرع انتشار مثل هذه المبادىء الاباحية والاشتراكية بين الناس وخصوصا متبعي أهوائهم والفقراء وهم الذين يتألف منهم الجزء الاعظم من كل أمة، فمن العجيب بعد ذلك ــ لاول نظرة ــ أن المسيحية لم تصر الدين الرسمي للدولة الرومانية الا بعد ثلاثة قرون من زمن مؤسسها !! فهذا شيء من مدنيتهم التي يقولون انها من آثار المسيحية فيهم، والمسيحية الحقيقية براء منها وكذلك المسيح عليه السلام، كما يعلم ذلك من تعاليمه الاخرى العالية الطاهرة التي بقيت بعض آثارها في الاناجيل الى اليوم وان كانت مختلطة بغيرها مما أفسده الناس اتباعا لاهوائهم وشهواتهم، ولولا تعاليم المسيح هذه الحقيقية الشريفة التي حافظ عليها بعض فرق النصارى الاقدمين لكانت المسيحية أسرع انتشاراً بين الرومانيين مما كان، غير أنها ما كانت تسود ولا تدوم بين البشر الى الآن

(٢ قارن أعمال المسيح هذه مع امه على مافي الاناجيل بقول القرآن: ٣١: ١٤ و ١٥ (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير * وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم

(٧) إيجاده التقاطع والتفريق بين الناس وحضهم على بغض أهليهم وأقاربهم حتى آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأخواتهم (لو ١٤ : ٢٦ ومت ١٠ : ٣٤ ـ ٣٧) وهو الداعي ـ في اول امره ـ الى السلم ومحبة الأعداء كما سبق

وقوله المشار اليه هنا وهو (لاتظنوا أني جئت لألقي سلاما على الارض . ماجئت لألقي سلاما بل سيفا فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الانسان أهل بيته ومن أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني) وقوله (لو ١٢ : ٤٩) « جئت لألقي نارا على الارض ليتها قد اضطرمت ٥١ أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الارض . كلا أقول لكم ، بل انقساما) كل ذلك ينطق بان إلقاء الحرب في الارض وإيجاد التفريق والانقسام وعداوة الاهل والابناء سيكون صادرا من جانبه وجانب أتباعه لامن جانب خصومهم كما هو صريح هذه العبارات ، وإن أولها المبشرون تعسفا بغير ما ذكرنا فلا نعبأ بتأويلهم لتكلفه وتعسفهم فيه ، ولذلك قال (لو ١٤ : ٢٦) « إن كان احد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذا » فكيف يقول المبشرون بعد ذلك إن البغض والعداوة والحرب ستكون من جانب الناس لهم لامن جانبهم للناس والمسيح نفسه يقول إنهم هم الذين يجب عليهم أن لايحبوا أهلهم واولادهم اكثر منه بل يبغضوهم ، فهم البادئون بالتفريق و بالعداء لاالمبدوءون به كما يزعمون (١)

تعملون) وقوله ١٧ : ٢٣ و ٢٤ (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ـ الى قوله ـ فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) . اما القرآن الشريف فقد كذب الأناجيل في هذه الدعوى أيضا ونص على ان المسيح كان بارا بوالدته ولم يكن جبارا شقيا كما في سورة مريم (١٩ : ٣٢) أي لم يكن عاقا لها ولا قاسيا على احد بخلاف ما يفهم من الاناجيل كما ستعرف

(١) اذا كانت هذه الذنوب كلها ـ وغيرها مما سيأتي ـ منسوبة للمسيح بشهادة كتبهم فكيف بعد ذلك يكون شفيعاً للمذنبين (١ يو ٢ : ١) وكيف يكون موته مكفرا عن خطيئاتهم جميعا ؟! وأين اذاً قداسته وعصمته ؟ وأين قداسة الهيم الذي يقبل خاطئا كهذا ليكون وسيطاً بينه وبين الناس المساكين الضعفاء (١ تي ٢ : ٥) ؟ وهل يريد الله أن يكون الناس أقدر على ضبط انفسهم من المسيح نفسه وهو لم يضبطها مع انه اله كما يزعمون ؟!   لها بقية   الدكتور محمد توفيق صدقي